خطبة : الرخاء الاقتصادي لايكون بالحرام

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

كسب الرزق والسعي لأجله حاجة فطرية لكل البشر ، دعا لها القران الكريم، قال الله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك: 15]،

فقد جاء الشرع الحنيف بالحثّ على السعي في تحصيل الرزق وإكتسابه على أنه وسيلة لغايات محمودة ومقاصد مشروعة، وجعـل للحصول عليه ضوابط وقواعـد واضحةَ المعالم، لا يجوز تجاوزها ولا التعدّي لحدودها كي تتحقق مصالحُ الفرد والجماعة.

قال تعالى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (168) وقال سبحانه :

فالكسب الطيب والمال الحلال يُنير القلب، ويشرحُ الصدرَ، ويُورث الطمأنينة والسكينة والخشية من الله، ويعين الجوارحَ على العبادة والطاعة، ويستجلبُ قبولَ العمل الصالح وإجابةَ الدعاء ، كما كَمَا أَنْ تَحَرِّي الحَلَالُ فِي كَسْبِ الرِّزْقِ يستنّزل البَرَكَةُ وَالخَيْرُ وَالهَنَاءُ

للمجتمع ، قال تعالى :"

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96)

لأجل هذا كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يتحرّون الحلال في كسبهم ومعاشهم ، ويتجنّبون الحرام والشبهات لإدراكهم عاقبة الحرام في الدنيا والآخرة ،

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه غلام فجاء له يومًا بشيء فأكل منه، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟! فقال أبو بكر: وما هو؟ فقال: تكهَّنتُ لإنسان في الجاهلية وما أُحسنُ الكِهانة إلا أني خدعته، فَلقينِي فأعطاني بذلك هذا الذي أكلتَ منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه، وفي رواية أنه قال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها، اللهم إني أبرأ إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء.

معاشر المؤمنين

يتوهم البعض أن الإقتصار على الحلالِ فقط يضيّقُ الأرزاقَ ويفوّتُ الفرص ويُعيق التنميةَ ، كما يُخدع آخرون بما يرونه من إستحلال دول إسلامية ،وللأسف ، للمحرمات يدّعون أنّها فتحت لهم أبواب التنمية والنمو الإقتصادي ، وآخرون يُخدعون بضغوطٍ غربيةٍ للتحرر والتحلل من ضوابط الشرع والقيم الأصيلة بدعوى الإنفتاح على العالم ،

فأين هؤلاء من تحذير النبي صلى الله عليه وسلم : "ليكونَنَّ من أمتي أقوام يستحِلُّونَ الحِرَ (أي الزنا) والحريرَ والخَمرَ والمعازفَ، وفي لفظ: ليشربَنَّ ناسٌ من أمتي الخمرَ يسمُّونها بغير اسمها، تُعزَفُ على رؤوسهم المعازفُ والمغنيَّات، يخسِفُ الله بهم في الأرضِ ويجعلُ منهم القردةَ والخنازيرَ ( ابن ماجة وصححه الألباني )

وأين هؤلاء مما حكاه القران الكريم

عمن أهانهم الله بالخزي والعذاب :

أهل السبتِ الذين قص الله تعالى علينا قصتهم؛ كي لا نقع فيما وقعوا فيه من التحايل على ما حرمه الله عليهم, يقول جلّ وعلا في شأنهم: (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)[الأعراف: 163].

ولأجل هذا التحايل على المحرمات عاقبهم الله بأن مسخهم قردةً وخنازير, فقال تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ), ثم توعّد من يفعل مثل فعلهم, (فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ)[البقرة: 65، 66],

وأين هؤلاء من تحذير النبي صلى الله عليه وسلم لأمته ‏‏فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ‏ ‏قَالَ:أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ‏صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ‏ ‏فَقَالَ: يَامَعْشَرَ ‏الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ :

لَمْ تَظْهَرْالْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا

وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ ‏وَجَوْرِ‏ ‏السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلا مُنِعُوا ‏الْقَطْرَ‏ ‏مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا ،

وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ

وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ).(صححه الألباني)

كيف يفسر لنا هؤلاء علاقة تحليل ماحرّم الله وتعدي حدوده بالتنمية والتقدم الاقتصادي ؟

كيف نقبلُ أوهام وضلالات أعداء الأمة ، وندعُ كتاب الله تعالى وهدي نبيه صلى الله عليه وسلم ؟

كيف يتجرأ البعض ليطالبوا بإباحة الخمور تحت ذريعة الانفتاح ، والخمر معلوم من الدين بالضرورة حرمة شربها وبيعها وحملها والإعانة عليها بأي وجه من الوجوه ، لقوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) المائدة/90

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : ( لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْخَمْرِ عَشْرَةً : عَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَشَارِبَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةُ إِلَيْهِ وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَآكِلَ ثَمَنِهَا وَالْمُشْتَرِي لَهَا وَالْمُشْتَرَاةُ لَهُ ).(صحيح اللجنة الدائمة )

فمن ذا الذي يتحمّل وزر هذه اللعنات من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

لايجوز مطلقا أن تُتخذ المحرمات وسيلة للإنفتاح الإقتصادي والتنمية ،

فتحليل المحرمات أمرٌ منكرٌ عظيم لعن الله بسببه اليهود, ففي البخاري أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال: “قَاتَلَ اللَّهُ اليَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ، فَجَمَلُوهَا فَبَاعُوهَا” ومعنى: (فَجَمَلُوهَا) أي: أذابوها فباعوها مذابة, قال الخطابي -رحمه الله-: “في هذا الحديث بيانُ بطلانِ كل حيلة يُحتال بها للتوصل إلى المحرم، وأنه لا يتغير حكمه بتغير هيئته وتبديل اسمه“(معالم السنن).

وقانا الله تعالى شرّ الأشرار وكيد الفجّار ، وحفظ الله بلادنا من الموبقات والمحرمات ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه .

معاشر المؤمنين

لقد حفظ الله تعالى هذه البلاد عبر تاريخها حفظا أصبح معلوما لكل ذي بصيرة ، وماذاك إلا لما ظهر من أهلها من توقير الدين وتجنّب المحرمات وفعل الخيرات ، وهذا أمير البلاد حفظه الله ورعاه يكرر دوما مقولته " أن الله تعالى يحفظ بلادنا بالعمل الخيري "

فبالله عليكم معاشر المؤمنين كم من شرٍّ صرفه الله عن بلادنا ؟ وكم من فتنة أطفأها الله ؟ وكم من ظالم قصمه الله ؟ وكم من بلاء نزل على كثير من البلاد رفعه الله عن بلادنا ؟

ماالذي إستجلب لنا حفظ الله تعالى وأمنه ، وأنزل علينا ستره ورزقه ومعونته ؟

أليس تحريمُ الحرمات وإجتنابُ الموبقات وفعلُ الخيرات والصدقات ؟

ألم ينعم علينا ربّنا بالأمن والأمان ؟ وسعة الرزق والعافية في الأبدان ؟

أهكذا يُشكر ربنا ويحمد على هذه النعم ؟ ألا نخشى وعيد الله وتحذيره "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7 ابراهيم) ؟

هل صرفت الخمور ودور الخنا الأزمات الاقتصادية والمالية والكوارث الطبيعية والفتن عن تلك الدول التي تتباهى بإباحتها ؟

ألا فلنتق الله تعالى ، عباد الله ، ولندرء عن بلادنا المنكرات والمحرمات ، و لنأمر بالمعروف وللنهى عن المنكر ، فهذا هو الذي يحقق الأمن الاجتماعي قال تعالى " وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (117)

وعن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده . ( صحيح الترمذي)